ندوة الإسلام والتصوف

أثر التصوف
فى تكوين المواطن الصالح

اجتمعت ندوة الاسلام والتصوف الشهرية فى الساعة السادسة من مساء يوم الأحد ٩ من رجب سنة ١٣٧٨ هـ الموافق ١٨ يناير سنة ١٩٥٩ م بدار المشيخة العامة للطرق الصوفية .

وحضرها من أعضاء الندوة الأساتذة : السيد محمد محمود علوان ، والدكتور محمد مصطفى حلمى ، والدكتور محمد كمال وصفى ، والدكتور عبدالحليم محمود ، وابراهيم محمد البيطاوى ، والسيد محمد عيد الشافعى ، وعبد الرحمن سلامة العطار ، ومالك عثمان خضر ، وطه عبد الباقى سرور .

وافتتح الندوة سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية مرحبا بالسادة المجتمعين ، ثم عرض الأستاذ طه عبد الباقى سرور ، موضوع الندوة وهو :

« أثر التصوف فى تكوين المواطن الصالح »

◉ سماحة السيد محمد محمود علوان :

ينقسم التصوف الاسلامى الى قسمين : قسم يتعلق بالتربية ، والتهذيب ونبل الأخلاق ، والتحلى بالفضائل ، والكمالات الأدبية ، وهو ما اصطلح على تسميته بعلم المعاملة ، وقسم يتعلق بالرياضة الروحية والعبادة ، وما يترقرق فيهما وحولهما من نور وظهر وكشف وفيض وعلوم ومعارف والهامات ..

والقسم الأول هو عماد الفلسفة الأخلاقية فى الاسلام ، وهو السر الكامن وراء تلك المثالية العالية التى اتسمت بها الحياة الاسلامية فى عصور ازدهارها وانتصارها .

وهو مادة عالمية تضىء للانسانية ولرواد الكمال الخلقى ، والصحة النفسية الطريق الصاعد الى الانسان الكامل ، الذى حاولت الأديان كافة ايجاده وابداعه ..

ولم تعرف الانسانية فى تطورها وخطوها الحضارى أفقا أعلى وأسمى من هذا الأفق التربوى الصوفى الاسلامى ، ولا تستطيع فلسفة خلقية أن تبدع ما أبدع التصوف الاســـلامى ، من مبادىء ومثل وآداب تستهدف ايجاد انسانية نبيلة مهذبة كاملة ، تمشى على صراط مستقيم ، وتعمل على ايجاد التوازن فى الشخصية الانسانية المهذبة ، التى لا تطغى آمالها على آدابها ، ولا مبتغياتها على مثلها • انسانية لا تعرف فى صلاتها ومعاملاتها التخاصم والشقاق ، والتنابز بالألقاب ، ولا تعرف الفسوق والجدال ، وسوء الخلق ، ولا تجنح بها عاطفة نحو بغى أو عـــداون ، أو مساس بحق الانسان أو حق الله ، انسانية تعيش أبدا فى الأفق الأعلى لقول رسولنا صلوات الله وسلامه عليه : « **وانما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » •

وان كان رجال التربية ، وأساتذة الفكر المثاليين يفكرون اليوم فى ايجاد طبقة من الانسانية ممتازة نبيلة ، كاملة الرجولة ، قوية الحيوية ، ساميـــة الخلق والفكر ، متلائمة التناسق ممن أطلقوا عليها اسم « سوبر مان » أى الرجل الكامل ، أو الخلق الكامل ، فقد وضع رجال التصوف الاسلامى من قرون الصـــورة الحقيقية التامة لهذا النوع من البشرية الرفيعة السعيدة الطاهرة ••

فان المبادىء الأخـــلاقية النبيلة التى وضعها المتصـــوفة واسترعوها للمؤمن لجـــديرة بايجاد مجتمع انسانى فاضل قوى سليم من الأحقـــاد والبغضاء ، بعيد عن الفحش والرذائل الهابطة •

وان النظم التى سنها شيوخنا ووضعوها للمجتمعات ، وطرق اتصالها وتعاملها ، وعـــوامل اتحادها ومحبتها ، لخليقة بايجاد أمة متحابة متعاونة متفانية فى غاية نبيلة واحدة ، تهدف نحو وجهـــة عليا يرفرف عليها علم الأخوة والمحبة ، ويسودها الاطمئنان النفسى ، والكمال الخلقى ، والسعادة والسلام الدائم ، للروح والقلب والأحاسيس •

ان رسالة التصوف التربوية ، هى تطهير الجوارح تطهيرا كاملا عما يلوثها أو يشينها وتزكية القلب حتى عن همسات الغل والحسد ، وايجـاد رقابة حية مضيئة على أفعال الانسان وحركاته وتصرفاته لتندفع جميعها نحـــو الايمان بالمثل العليا ، نحو احساس الفرد بأنه وحدة فى بنيان متماسك ، وحدة نافعة فى مجتمع تعاونى ايمانى طاهر ، أساسه التكافل فى الحياة ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصى بالخير والرحمة ، والضرب على أيدى المفسدين الآثمين المعتدين حتى لا يضـــار المجتمع بهم ، وحتى لا تشيع الفاحشة ، أو يسود السوء : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل

الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضـــو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . »

مجتمع مؤمن بالله ، ومن هذا الايمان تنبثق الصالحات الطيبات ، ويؤمن بالحيـــاة ، ومن هذا الايمان يشـــيع العمل والكفاح لسعادة الانسان وخير المجموع ، وعزة الانسانية كافة ..

ولقد استطاعت المناهج التربوية الصوفية أن توجد المجتمع الاسلامى ، السعيد القوى ، لانها ربطت بين السعادة والفضيلة ، وبين العزة والمثالية ، وبين السلوك الفردى ، والعمل الايمانى ، وبين الايجابيـــة وطاعة الله ، فأنجبت بذلك المواطن الصالح ، الصالح خلقا وعملا وايمانا ، وقلبـــا وحسا وشعورا .

وانا لنرجو فى فضل نهضتنا الحاضرة ، أن يشيع الادب الصوفى ، والخلق الصوفى ، والايمان الصوفى فى حياتنا ، وأن يعمق أثر هذا الروح الصوفى فى كل عمل من أعمالنا ، حتى يغدو الكمال طابع وجودنا .

فالتصوف هو الكمال فى كل شىء ، والتسامى فى كل أمر ، هو العزة المستمدة من عزة الله ، وليس فوق عزة الله عزة .

◉ الدكتور محمد مصطفى حلمى :

التصوف تصوفان : تصوف نظرى وتصوف عملى ، أما التصوف النظرى فهو هـــذا الذى نقرأه فى الكتب والرسائل التى يصـــور أصحابها فيها مذاهبهم ويعبرون عما يجدون فى أنفسهم من أذواق ومواجيد وعما يختلف على هذه النفوس من أحوال ، وأما التصوف العملى فهو هـــذه الرياضات والمجاهدات التى يأخذ بها المشايخ مريديهم ويأخذ بها المريدون أنفسهم ، وهذا التصوف العملى ليس فى الحقيقة الا تطبيقا عمليا لما يشـــتمل عليه التصوف النظرى من مبادىء وقواعد ، وهو بحكم هذا التطبيق العملى انما يعد بحق تربية خلقية وتغذية روحية لنفوس السالكين طريق الله .

والمتأمل فى تاريخ التصوف الاسلامى يلاحظ أن أول ما أخذ هذا التصوف من مظاهر التكون العلمى هو أنه كان فى القرنين الأولين للهجرة عبارة عن علم للأخلاق الدينية الاسلامية ، وأن أصدق تعريف له وأدل ما يكون عليه وقتئذ هو أن التصوف هو الخلق ، ومن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء ، والتصوف فى هذا انما يقوم على الارادة ، فهى أساسه ومجمع بنائه ، والارادة هى التى تميل بالانسان الى جانب الخير أو الشر وهى التى تحمله على التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل ، ومن هنا كانت دراسة الارادة الانسانية أحوالها ونزواتها وآفاتها وفضائلها ومحامدها ..

كان أولئك وكثير غيره من الأمور الرئيسية التى يعنى بدراستها التصوف ، ويعنى بتربيتها المشايخ وبتهذيبها المريدون ، فاذا كان ذلك كذلك فقد تبين اذا أن التصوف ليس كما يزعم بعض الزاعمين ضربا من الدروشة أو لونا من الشعوذة وانما هو على العكس من هذا كله علم له قواعده ومبادئه وعمل على تحقيق المثل العليا فى حدود هذه القواعد والمبادىء ومن هنا نستطيع أن نقول ان المشايخ فى توجيههم لمريديهم ، والمريدين فى خضوعهم لمشايخهم ، انما يحققون المثل العليا التى ينبغى أن يحققها المسلم الصادق فضلا عن المواطن الصالح الذى تتألف منه ومن أشباهه الأمة الراقية حقا .. وجماع القول فى هذا كله أن للتصوف أثرا قويا فى تكوين المواطن الصالح من الناحية النفسية والخلقية والاجتماعية ، وليس أدل على هذا الأثر من أن مشايخ الصوفية فى تهذيبهم لمريديهم انما يعمدون الى نفوس هؤلاء المريدين فيحللونها ويستكشفون دخائلها ويستشفون خفاياها حتى يتعرفوا على ما فيها من علل وأمراض ، وحتى يبرؤها مما تنطوى عليه من أهواء وأغراض قد تفسد عليهم صلتهم بربهم وصلتهم بأشباههم ، ثم هم بعد هذا التحليل يأخذون مريديهم بهذا اللون من التهذيب الذى يقوم على الترغيب تارة ، وعلى الترهيب تارة أخرى ، وذلك على قدر ما يلائم نفس كل مريد ، ثم هم يجتمعون بهؤلاء المريدين فيبصرونهم بما ينبغى وبما لابد منه للانسان لكى يكون انسانا مستكملا من كل نواحيه العلمية والعملية ، والذين ينكرون على التصوف أثره فى تكوين المواطن الصالح ، انما يسرفون على التصوف والصوفية ، ويجحفون بحق الصوفية الذين كان ولا يزال لهم ونرجو أن يظل لهم الأثر القوى فى توجيه الحياة الروحية الاسلامية وفى اقامة هذه الحياة فى نفوس المواطنين من أبناء وطننا العزيز على دعائم من الخلق القويم والصراط المستقيم .

⊙ الأستاذ عبد الرحمن سلامة العطار :

أفاض علينا الدكتور محمد مصطفى حلمى فى الحديث عن التصوف بقسميه ، النظرى والعملى ، ولا أظن أن أحد من الناس يستطيع أن ينكر على التصوف الاسلامى أثره فى تهذيب الخلق وفى رياضة النفس وحملها على الطاعة والانقياد الى الخالق ، وبعدها عن الدنايا حتى من أولئك الذين يظنون بالتصوف الاسلامى الظنون ، غير اننا حين نفكر فى الحديث عن أثر التصوف الاسلامى فى خلق المواطن الصالح انما نريد أن نخط لشبابنا طريقا واضحة الى الخير نحملهم عليها ، ونريدهم على السير فى سبيل مستقيم . نحن نفهم ان التصوف الاسلامى له اتجاهات ثلاثة : أحدها انه انقطاع الى العبادة ، وفناء فى الطاعة ، وزهد عن الدنيا وبعد عن جميع متع الحياة . فهل ،

- والسؤال للدكتور محمد مصطفى حلمى - : نريد أن ندعو الشباب فى هذا العصر المتحرك الى هذا اللون من التصوف الانقطاعى ؟.. أظن أنهم سيقولون لنا انه رهبانية لا يعرفها الاسلام ولا يدعو اليها !؟ ولون آخر من التصوف هو أن يأخذ الانسان من الحياة بقدر قوته وأن يعزف عنها بعد ذلك فلا يفكر فيها ولا يسعى اليها ، وحسبه منها أن يحصل على قوته ، ولعل هذا المعنى هو الذى عبر عنه أبو العتاهية وهو أحد المتصوفة :

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت

فهل هذا اللون من التصوف هو ما ندعو اليه الآن ، أظن ان كثيرا من الناس سيقولون لنا اننا ندعو الى تواكل ونعمل على خلق جيش من العاطلين ..

اللون الثالث من التصوف هو أن يأخذ كل انسان من الحياة نصيبه غير محدد بكيف ولا كم ما دام لا يجمعه من طريق غير شرعى ، وأن يأخذ بنصيبه أيضا من الطاعة بحيث لا تطغى ناحية على أخرى ، وهذا اللون هو المعنى الخاص بقوله تعالى : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** » ..

وفى رأيى ان هذا اللون الأخير يمكن لنا تنظيمه وعرضه على الناس فى صورة شيقة جذابة وحملهم عليه .

أما أثر التصوف فى خلق المواطن الصالح فلا يستطيع أحد أن ينكر انه سبيل وسط الى خيرى الدنيا والآخرة .

⊙ الدكتور محمد مصطفى حلمى :

الواقع انى عندما تحدثت عن التصوف وقلت انه تصوف نظرى من ناحية ، وعملى من ناحية أخرى ، وتحدثت بنوع خاص عن التصوف العملى ، وتحدثت بنوع أخص عن توجيه المشايخ للمريدين ، وخضوع المريدين للمشايخ ، كنت واضحا وجليا فيما أعنيه وفيما قصدت اليه ، من اثبات الأثر الروحى والخلقى للتصوف فى تكوين المواطن الصالح ، أما التصوف من حيث هو زهد وانصراف عن الدنيا واقبال على العبادة وانقطاع لها وفناء فيها كما يقول الاستاذ **عبد الرحمن سلامة العطار** فذلك وان كان معنى من معانى التصوف الا انى لم أدخله فى حسابى وانما الذى أدخلته وعنيته بالذات هو هذا الاثر العملى التربوى التهذيبى الذى يقوم عليه التصوف فى ناحية من نواحيه العملية الخالصة وأعنى بالعملية هذا مايتصل

من حياة الانسان بحياة الجماعة التى يعيش فيها والتى يعمل لهـا ويؤدى واجبه فيها على أحسن ما ينبغى أن يكون الاداء ٠

• الدكتور محمد كمال وصفى :

تبين مما تقدم أن الطرق الصوفية هى مدارس للتربية الخلقية ولتنمية المثل العليا فى النفوس سواء فى العبادة أو فى العمل وان معنى العبادة لا يقتصر على الانقطاع المجرد والتبتل ولكنه أيضا فى العمل وفى الضرب فى مناكب الارض وفى تحقيق المصالح لقوله تعالى : « **وقل اعملوا** » وقولـه : « **ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك** » أى لا تنسى ما أنت مكلف به من الواجبات وما أنت قائم عليه من المصالح ولقوله عليـه الصلاة والسلام : « ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا السعى فى المعيشة » وقوله للعابد المنقطع اذ يقارنه بأخيه المتكسب : « أخوك أعبد منـك » ٠ وأن الصوفى يجب عليه أن يقوم بحق الله حيث أقامه وفى ذلك يقول امامنا الشاذلى : « نحن لا نقول للزارع اهجر زراعتك وتعال الينا ٠ ولا للصانع اترك صناعتك من أجلنا ٠ بل نقول لهم احسنوا حيث أنتم واخلصوا لله »

فاذا تدبرنا حقيقة الطرق الصوفية لوجدناها مدارس حقيقية تقوم على الارشاد والتوجيه طبقا لمناهج مدروسة مبحوثة وهى جامعات تقوم فيهـا الصلة الوثقى بين الاستاذ وتلميذه حيث يجمع بينهما عطف الكبير ورعايته واخلاص المريد وطاعتـــه ، وحب جامع بين المنتسبين للطرق ولو تشبعت سائر المعاهد والجامعات بهذه الروح لآتت أطيب الثمار ولكان لها أقوم الاثر فى التقويم والتربيب ٠ فنحن نعيب على معـــاهدنا وجامعاتنا ضعف الصلة الروحية بين الطالب وأستاذه ٠

ويكفى لكى نلمس الاثر الواضح للتصوف فى تقويم المواطن وتربيته أن نلمس عمق أثر الانتمـاء الى الطـــرق فى نفوس الناس اذ أنهم يشغلون بالاجتماع فى مجالس الذكر عن الاجتماع فى بؤر السوء ومجـالات الاثم فيتطهرون بدنا وثوبا واستعدادا لمجالس الذكر الدورية ويترابطون بينهم برباط المحبة والوفاء ،بدلا من أن تشيع بينهم العدواة والبغضاء ويرتبطون بأسمى المثل وهـــو العمل لوجه الله الخالص فيحققون بذلك ما دونه من المثل ، كالعمل على اصلاح النفس ، وظروف الحياة ، والعمل على ما فيـــه

صالح الوطن والانسانية قاطبة لقوله عليه السلام : « حب الاوطان من الايمان » وقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

واذا تدبرنا تاريخ هذه الامة والحركات الشعبية فيها لوجدنا أن انتصار هذه الحركات وعنفوانها كان فى أوقات القوة الروحية وتغلغلها فى النفوس ففى هذه الايام انتصر المصريون على الفرنجة وأسروا مليكهم لويس التاسع بالمنصورة ، وكان امامنا السيد البدوى وتلميذه السيد عبد العال ،وتلميذه السيد مجاهد روادا لهذه المعارك ، وكذلك فى انتصار مصر على التتر فى عهد السلطان « قطز » وكانت الصوفية فى ذلك العهد على أشدها فى مصر ، وكذلك فى انتصارهم على نابليون وقومة القاهرة عليه كقومة رجل واحد وخروجه منها فى وقت كانت الصوفية فيه على أشدها كل ذلك يشهد بأن التصوف مدرسة عليا للوطنية والجهاد وتكوين المواطن الصالح .

الندوة القادمة

وانتهت الندوة فى تمام الساعة الثامنة على أن تجتمع فى الشهر القادم كالمعتاد باذن الله وسيعلن عن موعدها فى حينه

أصحاب امتياز التعبئة : مصانع تعبئة سيكو - س.ت ٣٣٠٩٤